

﴿قَالَ لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾
 قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ
 الصّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ
 فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: 29 - 33]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

"لَمَّا عَلِمَ فرعونُ أَنَّهُ ﷺ قد قطعه بما أوضح من الأمر، ووصل معه في الغِلظة إلى ما إن سكت عنه أوهنَ من حاله، وفترَ من عزائم رجاله؛ تكلم بما السكوت أولى منه، فأخبر الله تعالى بقوله: ﴿قَالَ﴾ عادلاً عن الحجاج بعد الخوض فيه إلى المغالبة التي هي أبين علامات الانقطاع: ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي﴾" (1)، وهذا شأن من قهرته الحجّة، وفيه كبرياء أن ينصرف عن الجدل إلى التهديد، فقال: ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (2).

مَن قهرته
الحجّة؛ فَرَّ إلى
التهديد

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَخَذْتُ﴾: (أخذ) أصلُ الْأَخْذِ حَوَظُ الشَّيْءِ وَجَبِيئُهُ وَجَمْعُهُ، قال الخليل: هو خلافُ العطاء، وهو التَّأَوُّلُ (3)، والاتِّخَاذُ: جَعَلَ شَيْءٍ لفائدة الجاعِلِ؛ لِأَنَّ الْمُتَّخِذَ يَأْخُذُ الشَّيْءَ الَّذِي يَصْطَفِيهِ، وهو مُبَالِغَةٌ في الْأَخْذِ (4)، والاتِّخَاذُ أَيُّضًا: الْاِقْتِنَاءُ، يُقَالُ: أَخَذَ الشَّيْءَ، يَأْخُذُهُ، أَخَذًا، أَي: اقْتَنَاهُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْاِكْتِسَابِ، يُقَالُ: اتَّخَذَ فُلَانٌ مَالًا، يَتَّخِذُهُ، اتَّخَاذًا: إِذَا كَسَبَهُ (5)، والمقصود بالاتِّخَاذِ في الآية: جَعَلَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14 / 27.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19 / 121.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أخذ).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11 / 299، و30 / 55.

(5) الخليل، العين، وابن عباد، اللحيط في اللغة، وابن الأثير، النهاية، وابن منظور، لسان العرب:

(أخذ)، والناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 37.

الشَّخْصَ الشَّيْءَ لِنَفْسِهِ، وفعلُهُ «أَتَّخَذْتُ» للاستمرار، أي: أَصْرَرْتُ على أَنَّ لك إلهًا أرسلَكَ وأن تبقى جاحدًا للإله فرعون⁽¹⁾.

(2) «فَأَتَى»: أصلُ الإتيان مجيءٌ بسهولةٍ، ومنه قيل للسَّيلِ المارِّ على وجهه: أَتَى وَأَتَاوَى، والإتيان قد يقال للمجيء بالذَّات، وبالأمر، والتَّديير⁽²⁾، وتقول: آتَيْتَهُ على ذلك الأمر مواتاة، إذا وافقته وطاوعته، والعامة تقول: وآتَيْتُهُ، وآتاه إيتاء، أي أعطاه، وآتاه أيضًا، أي أتى به، ومنه قوله تعالى: «ءَاتَيْنَا عَدَاءَنَا» [الكهف: 62]، أي أثنا به⁽³⁾، فالإتيان في الآية معناه: الإحضار.

(3) «فَأَلْقَى»: أصل (لقي) يَدُلُّ على طَرَحَ شَيْءٍ⁽⁴⁾، واللَّقَى: الشَّيْءُ الْمُلْقَى الْمَبْذُوبُ⁽⁵⁾، والإلقاء: طَرَحَ الشَّيْءَ حيث تلقاه، أي: تراه، ثُمَّ صَارَ فِي التَّعَارَفِ اسْمًا لِكُلِّ طَرَحٍ⁽⁶⁾، وَيُطْلَقُ على الإِفْضَاءِ بِالْكَلَامِ «يُلْقُونَ السَّمْعَ» [الشُّعْرَاءُ: 223]، وعلى حصولِ الشَّيْءِ فِي النَّفْسِ كَأَنَّ مُلْقِيًا الْقَاهُ، أي: مِنْ غَيْرِ سَبَقِ تَهَيُّؤٍ: «وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَاةَ وَالْبَغُضَاءَ» [البائدة: 64]، والمُرَادُ بالإلقاء في الآية: رَمَى شَيْءٍ فِي الْيَدِ إِلَى الْأَرْضِ⁽⁷⁾.

(4) «ثُعْبَانٌ»: أصلُ (ثعب) يَدُلُّ على امتدادِ الشَّيْءِ وانبساطه⁽⁸⁾، ومنه الثُّعْبَانُ: الْحَيَّةُ الضَّخْمَةُ الطَّوِيلَةُ، وهو من القياسِ، في انبساطه وامتداده خَلْقًا وَحَرَكَةً⁽⁹⁾.

(5) «وَنَزَعٌ»: أصلُ (نزع) يَدُلُّ على قَلْعِ شَيْءٍ وإزالته⁽¹⁰⁾، النَّزْعُ: الإِزَالَةُ بَعْنَفٍ؛ لئَلَّا يَبْقَى اتِّصَالُ بَيْنِ الْمُزَالِ وَبَيْنَ مَا كَانَ مُتَّصِلًا بِهِ، ومنه وَنَزَعُ الْيَدِ: إِخْرَاجُهَا مِنَ الْقَمِيصِ، وَنَزَعُ الْعِدَاوَةِ وَالْمَحَبَّةِ مِنَ الْقَلْبِ، وَالنَّزْعُ عَنِ الشَّيْءِ: الْكَفُّ عَنْهُ، وَالنُّزُوعُ: الْاِشْتِيَاقُ الشَّدِيدُ⁽¹¹⁾،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 122 / 19.

(2) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (أتي)، والفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز: 43 / 2.

(3) الجوهري، الصحاح: (أتي).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لقي).

(5) ابن عباد، المحيط في اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (لقي).

(6) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ، والزبيدي، تاج العروس: (لقي).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 123 / 4، و123 / 19.

(8) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ثعب).

(9) الأزهرى، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ثعب).

(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نزع).

(11) الراغب، المفردات: (نزع)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 193 / 27.

وَالْمَنْزَعَةَ، قُوَّةَ عَزْمِ الرَّأْيِ وَالْهَمَّةِ، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الْجَيِّدِ الرَّأْيِ: إِنَّهُ لَجَيِّدُ الْمَنْزَعَةِ⁽¹⁾، وَأَمَّا النَّزْعُ فِي الْآيَةِ فَمَقْصُودٌ بِهِ: سَلُّ شَيْءٍ مِمَّا يُحِيطُ بِهِ، وَمَعْنَاهُ: أَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ جِيبِ قَمِيصِهِ⁽²⁾.

❖ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

تُبَيِّنُ الْآيَاتُ مَا قَالَهُ "فِرْعَوْنُ لِمُوسَى ﷺ بِثُورَةٍ وَغَضَبٍ: لَئِنْ اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي - يَا مُوسَى - لَيَكُونَنَّ مَعْبُودًا لَكَ مِنْ دُونِي؛ لِأَجْعَلَنَّكَ وَاحِدًا مِنْ جَمَلَةِ الْمَسْجُونِينَ فِي سِجْنِي، فَهَذَا شَأْنِي مَعَ كُلِّ مَنْ يَتَمَرَّدُ عَلَى عِبَادَتِي، وَيُخَالِفُ أَمْرِي"⁽³⁾.

آيَةُ الطُّغَاةِ
تَقْدِيمُ الْإِنْتِقَامِ
عَلَى دَحْضِ
الْبِرْهَانِ

فَرَدَّ عَلَيْهِ مُوسَى ﷺ: "أَتَجْعَلُنِي مِنَ الْمَسْجُونِينَ الَّذِينَ تَعَذِّبُهُمْ، وَتَعَامَلُنِي مَعَامِلَتَهُمْ، حَتَّى لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ هَائِلٍ عَظِيمٍ مُوضَّحٍ لَصَدَّقَ دَعْوَتِي، مُؤَيَّدٍ لِرِسَالَتِي؟ فَتَحَدَّاهُ فِرْعَوْنُ قَائِلًا: فَائْتُ بِهَذَا الشَّيْءِ؛ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي دَعْوَاكَ أَنَّكَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَا أَظْنُكَ إِلَّا كَاذِبًا فِيمَا تَدَّعِيهِ"⁽⁴⁾.

فَجَاءَ رُدُّ مُوسَى ﷺ فَرَمَى عَصَاهُ الَّتِي يَحْمِلُهَا فِي يَدِهِ، فَتَفَاجَأَ فِرْعَوْنُ وَمَلُؤُهُ بِتَحَوُّلِهَا ثَعْبَانًا ضَخْمًا مَرْعَبًا، وَلَمَّا سَأَلَهُ فِرْعَوْنُ مَزِيدًا مِنَ الْآيَاتِ؛ أَدْخَلَ يَدَهُ مِنْ فَتْحَةِ قَمِيصِهِ الْمَفْتُوحَةِ إِلَى الصَّدْرِ، أَوْ مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا، فَإِذَا هِيَ بَيَاضٌ كَالثَّلْجِ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ، مَشْعَّةٌ مِثْلَ الشَّمْسِ، تَجْذِبُ الْأَنْظَارَ إِلَيْهَا؛ لِشِدَّةِ مَا يَنْبَعِثُ مِنْهَا مِنْ بَيَاضٍ وَنُورٍ.

وَتُرْشَدُ الْآيَاتُ إِلَى أَنَّ أَهْلَ الْكِبَرِ وَالْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ، إِذَا أَعْيَتْهُمْ الْحُجَجُ؛ لَجَّؤُوا إِلَى التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ وَاسْتِخْدَامِ الْقُوَّةِ، وَتُرْشَدُ إِلَى

(1) الْأَزْهَرِي، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ: (نَزَعَ).

(2) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 123 / 19.

(3) طَنْطَاوِي، التَّفْسِيرُ الْوَسِيطُ: 242 / 10.

(4) مَجْمَعُ الْبَحْثِ، التَّفْسِيرُ الْوَسِيطُ: 1566 / 7.

إثبات المعجزات للأنبياء كمعجزة العصا واليد لموسى ﷺ، وإلى زعم فرعون أنه قد طمع في إضلال موسى ﷺ، وألا يتخذ إلهاً غيره، وإلا فقد تقرّر أن فرعون ومن معه، على بصيرة من أمرهم⁽¹⁾.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلاغة الاستئناف البياني في التهديد الفرعوني:

فصلت جملة ﴿قَالَ لِّينِ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي﴾ عمّا قبلها للاستئناف البياني، حيث تثير جملة ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في ذهن المتلقي سؤالاً: ما ردُّ فرعون على تعريض موسى ﷺ لهم بعدم العقل في قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؟ فتأتي جملة ﴿قَالَ لِّينِ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ وافية بحق هذا السؤال، الذي يلحُّ بقوة في هذا المقام المتوتر.

معنى اللام ودلالاتها:

(اللام) في قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿لِّينِ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي﴾ لأم التوكيد المؤذنة بقسم، "والمعنى: أن فرعون أكّد وعيده بما يساوي اليمين المجلّمة، كأن يكون فرعون قال: عليّ يمين، أو بالأيمان، أو أقسم"⁽²⁾، وتكشف (اللام) عمّا يعتلج في نفسه من الغيظ الناتج عن انتصار موسى ﷺ في مقام إثبات حُجّة نبوّته، التي شهودها جلساء فرعون، ف (اللام) هنا دليل على أن من المقامات والأحوال المقتضية للتوكيد حال المتكلم نفسه.

دلالة استعمال (إن):

استعملت أداة (إن) في قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿لِّينِ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي﴾ بغرض تجاهل دعوى موسى ﷺ، وإيحاء من فرعون بأنه يعدُّ ذلك كأن لم يكن؛ وذلك جرياً على عادة الطغاة

تشويز الأذهان
لسماع جواب
أهل البرهان

من المقامات
والأحوال
للمقتضية
للتوكيد حال
المتكلم نفسه

عند الاستبعاد
يقع قانون
الاستبعاد

(1) السعدي، تفسير الكريم الرحمن، ص: 590، والجزائري، أيسر التفاسير: 645/3.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 121/19.

حين يتغابون؛ لتفويت الفرصة على خصومهم، وكذلك إنكاراً للواقع واستبعاداً له؛ لأنَّ موسى ﷺ اتخذ إلهاً غيره فعلاً، وقد تحقق ذلك وفرعون يراه، ولم يعدَّ في حيز المستبعد المشكوك، لكنَّها حالة الإنكار التي تَلَفُ الطُّغاة، حين يستبدُّون بالعباد، ويعتادون إذلالَ العباد، فلا يستطيعون تصوُّرَ حصول ذلك مجردَ تصوُّرٍ.

لطيفة التعبير بالاتخاذ:

استعمل النظم الكريم الاتخاذ دون التعبير بالأخذ في قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي﴾، فإذا كان الأخذ هو "التَّأَوُّل" ⁽¹⁾، والاتخاذ الاستمرار على الشيء، "مثل الدار يتَّخذها مسكنًا، والدابة يتَّخذها قعدة" ⁽²⁾، فإنَّ المقام هنا للاتخاذ لا للأخذ؛ إذ لا يقصد فرعون تناول موسى ﷺ بيده إلهاً غيره، بل المقصود عبادة غيره، والاستمرار على ما يغيظه، ويزعجه.

نكتة التعبير بالماضي:

جاء التعبير بالماضي ﴿أَخَذْتُ﴾ لبيان أنَّه قاصدٌ إلى توقُّف حصول الجزاء ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ على تحقيق حصول الشرط ﴿أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي﴾، فيكون في ذلك إيحاءً بتغاضي فرعون عمَّا حدث من موسى ﷺ وأنَّه سيؤاخذُه، ويحاسبُه بدءًا من اللحظة، وأنَّه متى وقع منه اتِّخاذُ إلهٍ غيره بعد ذلك؛ ترتَّب عليه السَّجنُ والمعاقبة.

علة التعبير بالألوهية:

لما كان المقامُ مقامَ تقريرِ الألوهية والعبودية سواء من موسى ﷺ لربِّه سبحانه وتعالى، أو من فرعون لنفسه المستعلية بزهوها وتكبُّرها، فالمقام مقامُ عبادةٍ وطاعةٍ وخضوعٍ؛ فناسب ذلك ذكر

الاتخاذ يختص
بالاستمرارية

حين يُداهم
الحقُّ أهلَ
الباطل تختلُّ
موازنهم

لما فهم فرعون
مقصد تقرير
الربوبية لله
تعالى؛ أعلن
الألوهية لنفسه

(1) ابن منظور، لسان العرب: (أخذ).

(2) العسكري، معجم الفروق، ص: 29.

الألوهية على لسان فرعون، بعد تقرير الربوبية على لسان موسى ﷺ، ففهم أنه يثبت الربوبية ليصل إلى الطاعة والخضوع، فسبقه بما فهم، فصرح بالألوهية.

غرض تنكير ﴿إِلَهًا﴾:

إفادة عموم
الآلهة التي تقع
تحت خيال
البشر

في تنكير المفعول ﴿إِلَهًا﴾ في جملة الاتخاذ: ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي﴾ مزيد تحذير لموسى ﷺ من اتخاذ أي إله سوى فرعون، سواء كان ذلك الإله عظيمًا أم غير عظيم، جديرًا بالآلوهية أم غير جدير، فالتنكير إذا يفيد العموم؛ لأن فرعون متوهم أنه إله، بل الإله الذي لا يُشارك، وإلى ذلك فتكيره المفعول ﴿إِلَهًا﴾ يوحى بتعظيمه، وأنه - في زعمه - الإله الوحيد الذي لا يسمح لأحد بالإشراك به - والعياذ بالله من الكفر وأهله.

لطيفة التقيد بلفظ ﴿غَيْرِي﴾:

قيّد النظم الكريم تحذير فرعون بلفظ ﴿غَيْرِي﴾؛ لبيان مدى غطرسة فرعون ووقوعه في الطغيان، فهو يرى ذاته وحدها، وكل ما سواها؛ فيدخل في حيز الأغيار.

بلاغة الإطناب في السّجن:

شعور الطغاة
بقوّة أهل
الحقّ ينضح في
مخاصمتهم
إياهم

آثر النظم الإطناب على الإيجاز في قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ﴾، فلم يقل: (لأسجنّك)، مع أنها أوجز لفظًا في تأدية المراد، بل سلك طريق الإتيان بعبارات وألفاظ مترادفة زائدة على الأصل المراد لفائدة؛ إذ فيه الإيماء إلى حرية موسى ﷺ التي هو عليها، فإنّ الجعل تصيير من حالة إلى أخرى، مع لمح الحالتين، بينما لو ذكر فرعون السّجن مباشرة؛ لما فهم منه الإشعار بحالة حرية موسى ﷺ السابقة للسّجن، ففيه إشعار بأن رجوع موسى ﷺ عن اتخاذ إله سواه قد ينقذه من السّجن المهدّد به.

نكتة التعبير بالمضارع في فعل الجعل:

مما يُفَرِّدُ أَنَّ الجعلَ يستلزم معالجة التعبير بالمضارع: ﴿لَأَجْعَلَكَ﴾؛ مما يدلُّ على أَنَّهُ يستفرغ فيه جهداً، ويستغرق وقتاً يتجدد فيما سيكون في المستقبل القريب.

دلالة التوكيد في فعل الجعل:

مما يقرِّر المعنى السابق دعمُ المضارعة بنون التوكيد الثقيلة في فعل جزاء ﴿لَأَجْعَلَكَ﴾؛ فهي تحكي تلك المعاناة التي يتوعدُّ بها فرعونُ خصمه موسى ﷺ وأنَّ سجنه لن يكون جعلاً يسيراً، بل سيكون جعلاً أليماً شديداً، يوازي تَوَكُّه على ألوهية الفرعون، ويكافئه، وأنَّه مؤكَّد لا شكَّ فيه، ولا تراجع عنه ولا تنازل.

معنى ﴿مِنْ﴾ ودلالاتها:

﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ الْمَسْجُونِينَ﴾ حرفُ تبيين، يُلِمح به فرعون لموسى ﷺ يُيسر جعله إياه ﴿مِنْ الْمَسْجُونِينَ﴾، وأنه ﷺ لا يعدو أن يكون واحداً يطويه السَّجْنُ ضمن كثيرين، أي: "لأجعلنَّ واحداً ممَّن عرفت حالهم في سجوني"⁽¹⁾، ف"سلك فيه طريقة الإطناب؛ لأنَّه أنسبُ بمقام التهديد"⁽²⁾.

دلالة التعريف في لفظ ﴿الْمَسْجُونِينَ﴾:

"اللام في ﴿الْمَسْجُونِينَ﴾ للعهد، أي: ممَّن عرفت حالهم في سجوني، فإنَّه كان يطرَحهم في هوة عميقة حتى يموتوا"⁽³⁾، مع وجازة الأخير عنه.

غرض التعبير بلفظ السَّجْن:

في التعبير بمفردة (السجن) تلويحٌ بما سيلقاه موسى ﷺ في

غيظُ فرعونَ يَبْرُزُ
في ثنايا النَّظم

المسجونون كثُرُ
والموعودُ سجنٌ

رَبِّ قَاتِلِ أَرْحَمُ
من حابس

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 308.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 122.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 4/ 136.

غياهب الحبس من معاناة وعذاب، ممّا يُشعر بتفضُّله عليه بتركه يتنفّس الحرّية، ويتقلّب في الأرض دون إذلالٍ، ففي ذكر السجن إذا تشديد الترهيب، وتذكيرُ بصنوف العذاب التي هي من لوازم سجون الظالمين في كل جيل وقبيل، وبخاصّة من يبلغ بهم الخيال الجامح حدّ ادّعاء الألوهيّة، كفرعون موسى ﷺ ولذلك "قال ابن عباس: وكان سجنه أشدّ من القتل" (1).

علّة فصل الجملة عمّا قبلها:

لا بدّ من أنّ تهديد فرعون السابق ﴿لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ أثارَ في نفس المتلقّي سؤالاً ملحاً - وقد أغلق فرعونُ بابَ الحوار، وهربَ إلى التّهديد والوعيد - فحواه: وبماذا ردّ موسى ﷺ على هذا التّحوّل المفاجئ من الحوار إلى التّهديد؟ فجاء الجواب: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾؛ فلمّا كانت الجملة الثانية هذه بمنزلة جوابٍ عن ذلك السؤال الثّائر في نفس المتلقّي؛ فُصِلت الثانية عن الأولى فصلاً لفظياً يشبه اتّصالهما معنوياً، وذلك ما يسمّى بالاستئناف البياني.

بلاغة الاستفهام الداخل على واو الحال:

الهمزة في جملة مقول القول ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ للاستفهام، المشوّقة إلى ما لديه ﷺ من أمارات صدّقه، وبها استطاع ﷺ استدراج فرعونَ إلى الاستماع إليه من جديد، بعد أن أغلق باب الحوار بالتهديد والوعيد، فالاستفهام عنصر إثارة وتشويق، ومفتاح حوار جديد، يوارب باباً كاد أن يغلق تماماً، فاستفهمه "استفهاماً مشوّباً بإنكار واستغراب، على تقدير عدم اجتزاء فرعون بالشّيء المبين، وأنّه ساجنه لا محالة إنّ لم يعترف بإلهيّة فرعون؛ قطعاً لمعذرتة من قبل الوقوع، وهذا التقدير دلّت

من البراعة
استدراج
الخصم إلى ما
يُريدُ المُحاجج

من أساليب
الاستدراج
في المناظرة
استعمال
السؤال المشوّق

(1) السمرقندي، بحر العلوم: 2/ 553.

عليه (لو) الوصلية التي هي لفرض حالة خاصة⁽¹⁾؛ لذلك يرى بعض المفسرين أنَّ "الاستفهام للإنكار"⁽²⁾.

معنى الواو ودلالاتها:

(الواو) في السؤال ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ واو الحال، والتقدير: (أتجعلني من المسجونين حتى في حال إتياني إياك بدليل واضح على صدقي؟)، وليست الواو مؤخّرة عن همزة الاستفهام؛ لأنَّ لحرف الاستفهام الصدارة بل هي لعطف الاستفهام، والعامل في الحال وصاحب الحال مقدّران دلّ عليهما قوله: ﴿لَأَجْعَلَكَ﴾، أي: (أتجعلني من المسجونين)⁽³⁾، وبهذا يقوّي موسى ﷺ أسباب الاستدراج والإثارة وفتح إطار جديد للكلام.

نوع (لو) ومعناها:

توحي كلمة (لو) - لكونها حرفَ تمنٍّ يدلُّ على امتناع الفعل الثاني من أجل امتناع الفعل الأول - باستحالة قبولِ فرعون نتيجة الدليل مهما يكن؛ لذلك لم يتمالك فرعونُ إزاء هذا الإلهاب إلا الخضوع: ﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾، وذهب ابن عجيبة إلى أنَّ (لو) "ليست امتناعيةً، بل إغائيةً؛ فلا جواب لها، أي: تفعل بي هذا على كلِّ حال، ولو جئتُك بشيء مبين؟"⁽⁴⁾.

دلالة التعبير بمفردة المجيء:

إذا كان المجيء في اللغة يُستعمل "في الأعيان والمعاني، وما يكون المجيء منه بذاته وبأمر"⁽⁵⁾؛ فإنَّ تعبيرَ موسى ﷺ عن إحضاره - دليل صدقه بـ (المجيء) - من شأنه بثُّ مزيدٍ من التشويق إلى

الواو للحال
لبيان قوة الإبانة
في كلام موسى



الصَّبْرُ على
الخضمِ حكمة
العقل

الألفاظُ المبهمةُ
في الاستدراج
للمناظرة تُلْهِبُ
فضولَ الخصم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 122 / 19.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 243 / 10.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 122 / 19.

(4) ابن عجيبة، البحر اللديد: 131 / 4.

(5) أبو البقاء، الكليات، ص: 34.

معرفته في نفس الخصم؛ وذلك لما في دلالة مادة المجيء من احتمال أن يكون الشيء المبين جوهراً أو معنى، واحتمال أنه يجيء بنفسه أو يؤمر به، وواضح أن ذلك ممّا أسهم في أسر نفس فرعون، وإخضاعه للاستمرار في المناظرة، إذ قال: ﴿فَأْتِ بِهِ﴾.

لطيفةٌ تعديّة فعل المجيء بنفسه:

في تعديّة الفعل (جئت) بنفسه - من قوله: ﴿جِئْتُكَ﴾ بدون حرف تعديّة - مزيدٌ توريطٌ لفرعون في قبول مواصلة المناظرة؛ إذ في ﴿جِئْتُكَ﴾ تصريحٌ بأنه هو المعنى بهذا المجيء.

معنى الباء ودلالاتها:

(الباء) في القيد بالجار والمجرور من قوله: ﴿بِشَيْءٍ﴾ هي باء المصاحبة أو الاستعانة، أي: أولو جِئْتُكَ مصطحباً الدليل القاطع بصدق دعواي؟ أو أستعين به على تصديقك وإقناعك؟ أو أثنيك به عن قرارك القاضي بجعلي من المسجونين؟ أو أبين به خطأك في التقدير والحكم؟

نكتة استعمال ﴿بِشَيْءٍ﴾ وتكبره:

جاء التعبير في سياق المناظرة بمفردة ﴿بِشَيْءٍ﴾؛ لما فيها من إبهامين: إبهام الشيئية المطلقة، وإبهام تكيرها ﴿بِشَيْءٍ﴾؛ إذ المنتظر حينئذٍ أن يقول - مثلاً - أولو جِئْتُكَ دليلٌ مُبين؟ أو حُجّة قاطعة؟ أو معجزة بيّنة؟ وما إلى ذلك، لكن أثر "التعبير عنه بال (شيء)" للتهويل⁽¹⁾، وفي ذلك الإبهام "تفخيمٌ من أمرها، ولعلّ مقصد موسى ﷺ بهذا الكلام، أن يجرّ فرعون مرةً أخرى إلى الحديث في شأن الرسالة التي جاءه من أجلها، بعد أن راه يريد أن يُحوّل مجرى الحديث عنها إلى التهديد والوعيد، وأن يسدّ منافذ الهروب عليه أمام قومه"⁽²⁾.

توريطُ فرعون
في قبول مواصلة
المناظرة

يجبُ أن يكون
الدليلُ مصاحباً
للحجة

التشويق
بالإبهام من
عوامل استدراج
الفضوليين

(1) ابن عجيبة، البحر اللدي: 4/ 132.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 10/ 243.

نكتة وصف الشيء بـ ﴿مُبِين﴾:

آثر النظم الكريم وصف (شيء) بلفظ ﴿مُبِين﴾، أي: "يبين ربوبيّة الله وألوهيَّته، أو ما يبيّن أنّي رسولُ الله" ⁽¹⁾، ومعنى ﴿مُبِين﴾، أي: "ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة" ⁽²⁾، فصفة ﴿مُبِين﴾ تُسهم في جذب انتباه الخصم نحو الشيء، فهو جمعٌ بين إبهام الشيء، ووصفه بالإبانة؛ ليكون أدعى لمعرفة، ويقلل من احتماليّة رفض مجيئه أمام الملاء، فإنّ ذلك سيحدث عليه جلبّة، وسيثير الناس عليه؛ بسبب ما سيظهر عليه من مظهر الضعف والخور، فكان لا بدّ من الإذعان.

علة فصل جملة مقول فرعون:

فُصِلَت جملة: ﴿قَالَ فَاتَّ بِهَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾؛ لما تثيره الجملة السابقة من أسئلة عن موقف فرعون من عرض موسى ﷺ، فتتصاعد حدّة المناظرة، ويتجاذب الطرفان طرفيها، وبينما يتربّع المتلقّي، ويتطلع أثر كلّ مجاذبة بسؤال يترتب عليها، ويثور في نفسه، حتى كأنّ تلك المحاورّة كلّها جملة واحدة، ونفس واحد، ففرعون "قد عرف أنّه رسول، وأنّه ليس بإله على ما ادّعى، وأنّ الإله غيره حيث طلب هذه الآية" ⁽³⁾.

بلادة الفاء الفصيحة:

يأتي ردّ فرعون على عرض موسى ﷺ بفاء التفريع "الفصيحة، أي: إنّ كنت صادقاً في دعواك؛ فأتيت" ⁽⁴⁾، والفاء الفصيحة هي التي تقع بعد كلام يفيد غرضاً من الأغراض، فتوزن بشيء مقدّر كشرط، فتكون تلك الفاء رابطة لجوابه لقصد الإيجاز، وقد يكون المقدّر غير

الجمع بين
إبهام الشيء
وصفة الإبانة
يقود فرعون إلى
الإذعان

السرد القرآني
يجمع أطراف
المحاورة كأنها
جملة واحدة

حشد عناصر
الإثارة يقود
الخصم إلى
مقصد خصمه

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 56 / 8.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 139 / 6.

(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 56 / 8.

(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 66 / 7.

شرط في كلام آخر⁽¹⁾، والفاء هنا على سبيل المطالبة الفورية ﴿فَأْتِ بِهِ﴾؛ ممَّا يدلُّ على نجاح عناصر التشويق في عبارة موسى ﷺ ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ يدلُّ على نجاحها في كسر عناد فرعون، وتطويعه نحو رغبة موسى ﷺ في إنهاء الحوار إلى أقصاه.

غرض الأمر في ﴿فَأْتِ بِهِ﴾:

لا يمكن لطاغية
أن يتجرّد من
هواه في مناظرته
أهل الحقّ

برغم انجذاب فرعون واستجابة وعيه الداخلي لِعَرَضِ موسى ﷺ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾، وطلب فرعون ذلك على وجه الفورية ﴿فَأْتِ بِهِ﴾، "أي: إنّنا لن نسجنك حينئذٍ"⁽²⁾، فبرغم ذلك يُظهر فرعون في مطلبه ﴿فَأْتِ بِهِ﴾ معنى التّعجيز لموسى ﷺ فقوله: ﴿فَأْتِ بِهِ﴾ أمرٌ غرضه التعجيز، وبيان ضحالة الشّيء المبين ذاك، وأنّه لن يُجدي بيّاناً ودليلاً، وبهذا يُرهِص فرعون بتكذيبه موسى ﷺ مبكراً، قبل أن يرى المعجزة، أو يعرف نوعها، وتلك شِشْنَةُ أهل الباطل إزاء أدلة أهل الحق، وفعلًا تحقّق تكذيبه بعد أن رأى تلك المعجزات، ولم يُذعن للحقّ في معجزتي العصا ولا اليد، ف"فرعون لا يملك أمام موسى ﷺ إلا أن يقول له: ﴿فَأْتِ بِهِ﴾ إن كنت من الصّديقين"⁽³⁾.

دلالة استعمال لفظ الإتيان بعد لفظ المجيء:

اختلاف
الاستعمال
يُشير إلى تباين
النّاس

لما كان الفعل "(يأتي) أَخَفَّ مِنْ (يجيء)"، وكذا الأمر: ﴿فَأْتِ﴾، ﴿فَأْتِنَا﴾ [الأعراف: 70]، ﴿فَأْتُونَا﴾ [القصص: 49]؛ لأنَّ إسكانَ الهمزة ثقيلٌ لتحريك حروف المدِّ واللين، تقول: جِئْ أَثْقَلُ مِنْ أَتَيْتَ"⁽⁴⁾؛ جاء التعبيرُ بمفردة الإتيان، وفي ذلك كنايةٌ عن الرغبة في سرعة الإتيان بذلك بالشّيء المبين، وهكذا يوزّع النظم الكريم مفردتي (المجيء) و(الإتيان)

(1) ابن عاشور، جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور: 1/ 64.

(2) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: 3/ 324.

(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 10/ 243.

(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 4/ 80.

بين موسى ﷺ واللّعين ﴿أُولُو جِثَّتِكَ﴾ ... ﴿قَاتِ بِهِ﴾؛ ليرجم في التعبير بهما ما وراء كلّ منهما من إشارات مقصودة.

نكتة استعمال أداة ﴿إِنْ﴾:

استعملت أداة ﴿إِنْ﴾ في جملة الشرط ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾، والمعنى: (إنّ صدقك في الإتيان بشيء مبین أمرٌ مستبعد، مشكوك فيه)، وفي ذلك حكم سابق على نبی مؤیّد من ربّه، يفضح الطبيعة البشرية المختلة عند المتكبّر المغرور، "وهذا قد استبقاه كلام فرعون إلى ما بعد الوقوع والنزول؛ ليتأتى إنكاره إن احتاج إليه"⁽¹⁾، فقله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ يُفيد أنّه لا يأتي "بالمعجزة إلّا الصادق في دعواه؛ لأنّ المعجزة تصديقٌ من الله تعالى لمُدّعي النبوة، والحكيم لا يُصدّق الكاذب"⁽²⁾، وهذا قد جعله فرعون في معرض الشكّ، وهو لا يدري أنّه أعطى في المقابل احتمال الصدق.

معنى ﴿مِنْ﴾ ودلالاتها:

﴿مِنْ﴾ في جملة: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ تبعيضيّة، ترمي إلى التقليل من شأن صدق موسى ﷺ، وأنّه ﷺ إنّ صدق في الإتيان بشيء مبین؛ لا يعدو أن يكون فرداً من كثيرين يصدقون.

بلاغة استعمال مفردة الصدق:

لما كان غرضُ فرعون هدمَ دعوة موسى ﷺ من أساسها؛ سلّط التشكيك على أهمّ ما يضمن لها النجاح، وهو (صدقه)، فقال: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾، فنفت أمام الملأ تشكيكه في ثبوت صدقه، ثم شكّك في أصالة صدقه ﷺ وقدمه فيه إن ثبت هذه المرة - وذلك من صبّ التشكيك بـ ﴿إِنْ﴾ على ﴿الصّٰدِقِیْنَ﴾ مادّة لغوية وصيغة صرفية، أخزاه الله تعالى.

كفّة التشكيك في
صدق الرسول
تقابلها كفّة
احتمال الصدق

التقليل من شأن
صدق موسى
ﷺ

التشكيك في
صدق الخصم
دون بينة حجة
مفلسة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 123 / 19.

(2) الرمخشري، الكشف: 309 / 3.

توجيه المتلقي
إلى مضمون
الشَّريط

إذا هبَّت رياح
البيان؛ فاقتنص
عقول المخاطبين

اعتناء الناظر
بأدواته ضروري
لإنجاح مهمته

انقلاب العصا
ثعباناً وقعة
مهولٌ في أعين
البصرين

لطيفة حذف جواب الشرط:

لم يُذكر للشرط في قوله: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ جواب؛ "لأنَّ الأمر بالإتيان به يدلُّ عليه"⁽¹⁾، ف"جواب الشرط مقدَّر، أي: فأحضره"⁽²⁾، فمِمَّا يُلِمَح إليه حذفُ جواب الشرط هنا توفيرُ عناية الحضور - جلسائه - على إشارة التشكيك في صدق موسى ﷺ، وعدم شغلهم عن ذلك التشكيك الخبيث بجواب يُفني عنه الأمر ﴿فَأْتِ بِهِ﴾.

نوع الفاء في الإلقاء ودلالاتها:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾ للتفريع، فكان بإمكان موسى ﷺ إلقاء عصاه ابتداءً، وترويع فرعون بالثعبان، لكنَّه كان سيفلق باب الحوار ابتداءً قبل فتحه، وليس ذلك من الفطنة التي يتحلَّى بها رُسُل الله تعالى، فعالج موسى ﷺ المقام، وروّض شراسة فرعون وهيأه، حتى استنطقه بطلب المعجزة بنفسه ﴿فَأْتِ بِهِ﴾، فبادر بعد ذلك بأن ألقى عصاه تفريعاً على أمر فرعون.

دلالة التعبير بالإلقاء:

في التعبير بمفردة الإلقاء في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾ دون لفظ الرمي أو القذف، إيماؤه إلى اعتناء موسى ﷺ بأمر العصا؛ فإنَّه ألقاها بلطفٍ، ولم يَرْمِها، أو يَقْذِفها؛ فالقَذْفُ الرَّمْيُ بقوة، والرمي بالحجارة⁽³⁾، والرَّمْيُ فيه معنى الاستهانة بالمرمى، فجاء التعبير بالإلقاء لملاحظة اللطف والعناية عند الإلقاء.

نكتة استعمال لفظ العصا:

في التعبير بمفردة (العصا) في جملة ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾ إيحاء بصغر حجمها، حتى إذا انقلبت ثعباناً؛ ظهرت الفوارق غير المتوقعة

(1) الزمخشري، الكشاف: 310/3.

(2) الكرمانلي، لباب التفاسير: 1/1824.

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي للوُضَل: (قذف).

للخصوم المتربّصين، وكلّما كانت المفاجآت أعظم؛ كان تأثيرها أبلغ، ذلك عند الأسوياء الباحثين عن الحقّ والحقيقة، أمّا أمثالُ فرعونَ ومَلَيْئِهِ؛ فقد أَرَهَصَ حُكْمُهُ السَّابِقُ بالشكِّ في صدق موسى ﷺ بقراره، مهما رأى من عظمة الدليل والمعجزة.

فائدة التعريف بالإضافة:

في التعريف بالإضافة في ﴿عَصَاهُ﴾ بيانٌ لدلالة صِغَرِهَا والتَّهْوِينِ من أمرها في الظاهر، أما التعريف بـ(أل) - لوقيل في غير القرآن الكريم: (فألقى العصا) - فإنّه يضيف عليها فخامة، وكَمَالاً وَعِظْماً غير مقصود في هذا المقام، كأنه قال: ألقى أمرًا يسيرًا؛ لا يعدو أن يكون عصاه.

نَضَرُ الْمُؤْمِنِينَ
بِسَبَبِ عَظَمَةِ
النَّاصِرِ لَا عَظَمَةِ
أَدَاةِ النَّصْرِ

معنى (الفاء) مع (إذا) الفجائية ودلالاتها:

مِمَّا يُسَهِّمُ فِي بَيَانِ تَلَاْحُقِ الْأَحْدَاثِ وَسُرْعَةِ الْمَفَاجِآتِ اسْتِعْمَالُ النَّظْمِ الْكَرِيمِ مَعَ (إِذَا) الْفَجَائِيَّةِ (الْفَاءِ) الَّتِي هِيَ لِلتَّعْقِيبِ وَالْعُطْفِ⁽¹⁾؛ لَانْقِلَابِ صُورَةِ الْعَصَا الْجَدِيدَةِ فِي صُورَةِ ﴿تُعْبَانُ مُبِينٌ﴾ عَنْ حَالَتِهَا الْأُولَى الْمُمَثِّلَةِ فِي ﴿عَصَاهُ﴾ الْمَعْهُودَةِ فِي اسْتِعْمَالِهَا الْمَعْتَادَةِ.

دلالة (إذا) الفجائية:

مِمَّا يُسَهِّمُ فِي سُرْعَةِ الْمَفَاجِآتِ ضَمِيمَةِ (إِذَا) الْفَجَائِيَّةِ إِلَى الْفَاءِ التَّعْقِيبِيَّةِ فِي جُمْلَةٍ: ﴿فَإِذَا هِيَ﴾، مِمَّا يَتَرَجَّمُ بِدَقَّةٍ عَالِيَةٍ وَاضِحَةٍ سُرْعَةَ الْحَدَثِ، وَأَخَذَةَ الْمَفَاجَأَةَ الَّتِي شُدِّهَتْ فِيهِ أَنْظَارُ الْحَاضِرِينَ وَدَهَشَتْ.

الْفِرَازُ إِلَى مَلْجَأٍ
مَنْقِذٍ لِأَهْلِ
الْبَاطِلِ يُثِيرُ
شُكُوكَ النَّاسِ
حَوْلَهُمْ

وَقَدْ زَلَزَلَهُمْ هَوْلُ الْمَفَاجَأَةِ مِنْ دَوَاخِلِهِمْ زَلْزَلَةٌ لَمْ تَدَعْ لَهُمْ فُرْصَةَ التَّدْبِيرِ وَالْكَيْدِ، مِمَّا أَلْجَأَهُمْ إِلَى فَضِّ هَذَا الْمَجْلِسِ الضَّاعِطِ؛ هَرُوبًا إِلَى الْأَمَامِ بِطَلَبِ تَحْدِيدِ مَوْعِدٍ آخَرَ لِلْمَنَازِلَةِ فِي إِطَارِ مَا نَبَّهَهُمْ إِلَيْهِ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 421 / 3.

زعيمهم فرعون من السَّحَر، وريثما يتدبَّرون أمرهم، ويجمعون كيدهم، لكنها الفرصة التي فيها العناية الإلهية، التي دبرها الله تعالى لنبيه موسى ﷺ.

نكتة تقديم ضمير الفصل:

مهما تجلَّى
الحقُّ للطغاة؛
غالبوا فيه،
وكابروا

من مقتضيات (إذا) الفجائية تقديم ضمير الفصل ﴿هـ﴾ - الذي يقع مرفوعاً مطابقاً لما قبله تكلُّماً، وخطاباً، وغيبة، وإفراداً - على الخبر ﴿ثُعْبَانٌ﴾؛ حيث إنَّ المفاجأة تتعلَّق بِتحوُّل ذاتِ العصا إلى ذاتٍ أخرى، وذلك لا يكون بِقُدرة موسى ﷺ، وكانوا يعيشون زمانَ السَّحَر والسَّحرة، والسَّاحر مبجلٌ مقدَّم فيهم، ويدرون أنَّ هذا التحوُّل خارج تلك الحدود بمراحل، لكنَّه الكذب والمغالطة والمكابرة، التي تأبى لمثل فرعون أن يُقرَّ لموسى ﷺ بِصدقٍ، ويقرُّ بِصدق معجزته، فيحمله الطغيان على النُّكران.

علَّة تنكير ﴿ثُعْبَانٌ﴾:

نُكِّر لفظ ﴿ثُعْبَانٌ﴾؛ ليُضفي عليه عِظْماً وخطورة ومهابة، ويوحى بأنَّه ﴿ثُعْبَانٌ﴾ من صنفٍ لا عهد لهم بهوَّله وفضاعته، وحَقُّ له ذلك، فهو معجزة نبيٍّ.

إيحاء الإيقاع في لفظ ﴿ثُعْبَانٌ﴾:

لِلْفَظ (ثُعْبَان)
إِيحَاءَاتٌ مَرْعَبَةٌ
مَزْعَجَةٌ

لِلْفَظ ﴿ثُعْبَانٌ﴾ إِيحَاؤُهُ المَعْنَوِيُّ، فهو من أصل يدلُّ على امتداد الشيء وانبساطه، يكون ذلك في ماء وغيره، من ثُعِبَتِ الماء، وأنا أُنْعِبُه؛ إذا فَجَّرْتَه؛ فانتُعب، كانتُعب الدَّم من الأنف، ومنه اشتُقَّ مُثْعَب المطر، وممَّا يصلح حمله على هذا، الثُّعْبَان: الحَيَّةُ الضَّخْم الطَّوِيل، وهو من القياس، في انبساطه وامتداده خَلْقًا وحرْكََةً⁽¹⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ثُعَب).

وله دلالتُهُ المخيفة، وعند تتبُّع اشتقاقات المادَّة اللغوية التي تجمع حرفيَّ الثاء والعين، يثبت أنَّهما يشيران إلى معاني التحيُّل والروغان؛ إذا اجتمعا، فللثاء مع العين خاصَّة التلوُّن والتحيُّل والإرهان⁽¹⁾، يقال: ثَعَّ يَثْعُ - من باب (ضَرَبَ) ثَعًّا، أي: قاء ما أكله، وانتَعَّ الأكلُ من فيه، والدَّمُ من أنفه أو جُرحه، أي: انصبَّ، وثَعَبَ عليهم الغارة: شَنَّها، وثَعَبَ البعيرُ شَقَشَقَتَه: أخرجها، وثَعَلَت أسنانه تَنَعَلُ - من باب فَتَحَ - ثَعْلًا: تراكبت إحداها على الأخرى، فهو أثْعَلُ، وفيه معنى التلوُّن والتحيُّل، وأثْعَلَ الأمرُ: عَظُمَ وتفاقم، والثَّعْلُ - بضمِّ الثاء المشددة - دَوِيَّة تظهر في السَّقاء؛ إذا خُبِثَ ريحُه، وثَعَالَة: علَمٌ على أنثى الثَّعْلَب لا ينصرف، وثَعْلَبَ وتثَعْلَبَ: راغَ، أو تشبَّه بالثَّعْلَب في روغانه، والثَّعْلَب حيوان مشهور بالتحيل والروغان، يتساقط شعرُه كلَّ سنة، وبالجمله فهذه المادَّة ظاهرة الثعلبية والثعبانية⁽²⁾.

نكتة وصف «ثُعْبَانٌ» بـ «مُبِينٌ»:

وصف «ثُعْبَانٌ» بـ «مُبِينٌ» ينفي عنه شبهة التخيل، ويُمرِّر ثعبانيَّته الحقيقية، ويؤكد يقينهم بأنَّه حقًّا «ثُعْبَانٌ» لا خيالات ولا شعوزات، ووصف «مُبِينٌ»، أي: "ظاهر الثعبانية، لا شيء يشبه الثُعْبَان، كما تكون الأشياء المزورة بالشعوذة والسَّحر"⁽³⁾.

دلالة صيغة «مُبِينٌ»:

توحي صيغة «مُبِينٌ» بتألق الثُعْبَان، وأنَّه من تلقائه كاشِفٌ عن خصائص الإعجاز فيه، وأنَّه قد أراهم ما يستدلون به على صدق المعجزة، وصدق رسالة موسى ﷺ وهو "اسم فاعل من أبان القاصر الذي بمعنى بان، بمعنى ظهر، فـ «مُبِينٌ» دالٌّ على شدة الظهور، من

دَفَعُ تَوْهَمِ الْجَازِ
فِي لَفْظِ ثُعْبَانٍ

(1) "يقال: أرهَن أولاده، أي: أخطرهم"، يُنظر: اليماني، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: 4/ 2661، "وإرهان الشيء إثباته وإدامته"، يُنظر: الأزهرى، تهذيب اللغة: (رهن).

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 68 / 7.

(3) الرمزخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: 310 / 3.

أجل أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، أي: ثعبانٌ ظاهرٌ، أنه ثعبانٌ لا لبس فيه ولا تخيل⁽¹⁾.

نكتة تقديم إلقاء العصا على نزع اليد:

معجزة العصا
أعجب، فكانت
بالتقديم أليق

لا ريب أن كلتا المعجزتين: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾، ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ خارجتان للعادة، غير أن انقلاب العصا كائنًا حيًا مهيبًا خطيرًا - وهي قطعة من خشب ميت، أو قضيب جاف من قضبان شجرة - أخذ للألباب، وأنه المعجزة الأعظم لما فيه من خصيصة التخويف، ومضار التسميم، فذلك ما أهل تلك المعجزة العظيمة للتقديم على معجزة ابيضاض اليد وإشعاعها مع عظمة الأخرى، وتقديم المعجزة المنفصلة على المعجزة المتصلة أولى بالمقام؛ لدفع تهمة التلاعب باليد.

بلاغة العطف بالواو في فعل النزع:

تداخل
للتعاطفين حتى
لكنّهما وقعا
دفعاً واحدة

(الواو) في جملة ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ للعطف، حيث تجمّع لموسى ﷺ معجزتين عظيمتين، وسياق الأحداث هنا يمنح الفعلين ترتیباً؛ إذ إلقاء العصا كان أولاً، على إثر طلب فرعون، ثم نزع اليد، فالواو هنا تتضمن فورية (الفاء) إلى درجة أنها تدخل الحداثتين، كأنهما وقعا من موسى ﷺ معاً.

بلاغة استعمال مفردة النزع:

تصوير مشهد
المعجزة كأنها
حاضرة أمام
المخاطب

آثر النظم الكريم استعمال مفردة النزع في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾، والنزع: سلُّ شيءٍ ممّا يحيط به، ونزعُ اليد: إخراجها من القميص، فلذلك استغنى عن ذكر المنزوع منه، وهو مكان النزع لظهوره، أي: أخرج يده من فتحة قميصه المفتوحة إلى الصدر، أو من تحت إبطه⁽²⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 123/19.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 123/19، ونخبة من العلماء، التفسير اللبّس، ص: 368.

فالتَّعْبِيرُ بمفردة النَّزْعِ يوحي بجلالِ الحدثِ، حتى لَكَأَنَّ إخراجَ يَدِهِ مِنْ تحتِ إبطِهِ أو من جيبِ قميصِهِ نَزْعٌ شديدٌ بِقُوَّةٍ؛ أضفى على ذلك الحدثِ تفخيماً وتعظيماً؛ لأنَّه ليس حدثاً اعتيادياً، بل معجزةٌ كبرى، وقد كان موسى ﷺ رجلاً أسمرَ اللون⁽¹⁾، فإذا خرجت يَدُهُ بياضاً مشرقاً؛ كانت المفارقةُ كبيرةً، والمعجزةُ عظيمةً.

معنى الفاء ودلالاتها:

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ بِبَيْضَاءٍ﴾ مع أداة المفاجأة (إذا) توازي في عطائها ودلالاتها (الفاء) مع (إذا) في الجملة السابقة: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾، فكلتا المعجزتين مفاجأتان كبيرتان، تأخذان بالعقول والقلوب؛ لذا كان عُنصرُ السُّرعةِ والمفاجأةِ فيهما وبهما أَسْرًا.

دلالة (إذا) الفجائية:

مِمَّا يُسَهِّمُ في بيان سرعة المفاجآت ضميمَةُ (إذا) الفجائية إلى (الفاء) التعقيبية في جملة ﴿فَإِذَا هِيَ بِبَيْضَاءٍ﴾؛ لأنها دَلَّتْ "على سرعة انقلاب لون يده بياضاً"⁽²⁾، ممَّا يترجم بدقَّةٍ ظاهرة واضحةٍ سُرعةَ الحدثِ، وأخذ المفاجأة التي شَدَّهَتْهُمْ.

وكما زلزلهم هَوْلُ المفاجأةِ حين انقلبت العصا حَيَّةً، كذلك أذهلهم انقلابُ سوادِ بشرةِ يده ﷺ بياضاً مشعاً كالشمس، ممَّا أَكَّدَ لجوئَهُمْ إلى فَضِّ المجلس فوراً، والهروب إلى تحديد موعد آخر للمقارعة، ريثما يتدبَّرون أمرهم، ويجمعون كيدهم، لكنَّها الفرصة التي دَبَّرَهَا اللهُ تعالى لنبيِّه موسى ﷺ.

(1) إذ وصفه النبي ﷺ ليلة الإسراء بقوله: «رَأَيْتُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ»، أخرجه البخاري، الصحيح، الحديث رقم: (3239)، ومسلم، الصحيح، الحديث رقم: (165)، فهو ﷺ أسمر، طويل، غيَّرَ مسترسل الشعر، يشبه رجال شَنْوَةَ من قبيلة الأزد القحطانية.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 124 / 19.

التَّعْقِيبُ
والعطفُ
المتضمَّنُ السرعةَ
والمفاجأةَ

التَّهَرُّبُ من
مقارعة الدَّلِيلِ
بالدَّلِيلِ من
صفات الفراعين
المهزومين

دلالة تقديم ضمير الفصل:

دلّ تقديم ضمير الفصل ﴿هِيَ﴾، المرادُ به اليدُ في جملة ﴿فَإِذَا هِيَ بَيَّضَاءُ﴾ على التَّنْوِيهِ بِشِدَّةِ أُسْرَها لِمَن رآها، وعظمة عطاء المعجزة فيها، ولا شكَّ أَنَّهُ ليس مَن رآها كَمَن سمع بها.

نوع (اللام) ودلالاتها:

(اللام) في قوله تعالى: ﴿لِلنَّظَرِينَ﴾ يجوز أن تكون لامَ التَّعْدِيَةِ، أي: اتَّصال متعلِّقًا بِمَجْرُورِها، ويجوز أن تكون اللامُ ظَرْفِيَّةٌ بِمعنى (عند)، ويكون الجار والمجرور ﴿لِلنَّظَرِينَ﴾ حالاً⁽¹⁾.

بلاغة استعمال مفردة النَّظَر:

التَّعْبِيرُ بـ (النظر) دون (البصر) - في قوله تعالى: ﴿لِلنَّظَرِينَ﴾ مع صياغته باسم الفاعل - يوحى بأنَّ بياضَ يَدِهِ ﷺ كان يَجْذِبُ الأنظارَ بِقُوَّةٍ؛ لخروجه عن الإلْفِ والعادة، ويشدُّ من يراه، فيديم النظر لهذا التحوُّل اللوني، ويطيل التدبُّر فيه، وذلك من عطاء صيغة (الفاعل) في ﴿لِلنَّظَرِينَ﴾ "بياضها ممَّا يقصده الناظرون لأعجوبته"⁽²⁾؛ ممَّا يوحى بتفردِه وتمايزه عن كلِّ بياض؛ ذلك أَنَّهُ بياضٌ إعجاز، فلا شكَّ أَنَّهُ ممَّا لا عهد ﴿لِلنَّظَرِينَ﴾ برؤية مثله، وفيه إيماءٌ إلى أَنَّهُ "دليل على أَنَّ بياضها كان شيئاً يَجْتَمِعُ النَّظَرُ على النظر إليه؛ لخروجه عن العادة، وكان بياضاً نورياً"⁽³⁾.

❁ الفرق المُعْجَمِيَّة:

الجيء والإتيان:

"(جاء) يقال في الجواهر والأعيان، و(أتى) يقال في المعاني والأزمان، ولهذا ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ

التعديّة أو
الظرفيّة
متعلّقان للام

شأن معجزات
الأنبياء أن تكون
خارقة؛ لا عهد
للمدعوين
بمثلها

الجيء للجواهر
والأعيان،
والإتيان للمعاني
والأزمان

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 124 / 19.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 124 / 19.

(3) الزمخشري، الكشاف: 310 / 3.

بَعِيرٍ ﴿يُوسُفُ: 72﴾ ، ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: 18] ، ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: 23] ، وأتى في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: 1] ، ﴿أَتْنَهَا أَمْرُنَا﴾ [يونس: 24] (1) .

و(أتى): تُستخدم في الشيء الذي فيه يُسرُّ وسهولة، و(جاء): تُستخدم في الشيء الذي فيه مَشَقَّةٌ وصُعوبة، ففي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: 34] ، و﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ [٣٣] [عبس: 33] ، عبَّرت الآيات السابقة عن يوم القيامة وحضوره ب(جاءت) ، أمَّا في ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْثِيَةِ﴾ [الغاشية: 1] ؛ فعبَّرت الآية عن الكلام: حول يوم القيامة، والكلام يسير، ولم تُعبِّر عن الحضور، أو الوقوع، ولذلك عبَّرت ب﴿أَتَاكَ﴾ [الغاشية: 1] (2) .

الإلقاء والرَّمي:

"الإلقاء: طَرَحُ الشيء حيث تلقاه، أي: تراه، ثم صار في التعارف اسمًا لكل طرح، قال تعالى: ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه: 87] (3) ، و"الرَّميُّ يقال في الأعيان كالسَّهم والحجر، نحو: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: 17] ، ويقال في المقال، كناية عن الشتم كالقذف، نحو: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ [النور: 6] (4) .

السَّجْن والحبس:

السَّجْنُ الْمَكَانُ يُسَجَّنُ فِيهِ الْإِنْسَانُ، وَالسَّجْنُ: الْمَصْدَرُ، سَجَّنَهُ يَسْجُنُهُ سَجْنًا، أَي: حَبَسَهُ، وَالسَّجَّانُ: صَاحِبُ السَّجْنِ، وَرَجُلٌ سَجِينٌ: مَسْجُونٌ، وَالسَّجِينُ: الصُّلْبُ الشَّدِيدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [الطائفين: 7] قيل: المعنى:

الإلقاء خاصٌّ
بالمحسوسات،
والرَّمي عامٌّ فيها
وفي العنويات

السَّجْنُ الحصرُ
في ضيقٍ،
والحبس مطلق
المنع عن الوجهة

(1) عقيلة، محمد بن أحمد، الزيادة والإحسان في علوم القرآن: 8 / 214.

(2) فهد سالم الكندري وآخرين، أول مرة أتدبر القرآن، ص: 293.

(3) الراغب، المفردات: (لقى).

(4) الراغب، المفردات: (رمى).

أَنْ كِتَابَهُمْ فِي حَبْسٍ لِحَسَاسَةٍ مِّنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ وَقِيلَ: فِي سَجِينٍ فِي حَجَرٍ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ⁽¹⁾.

و"الحَبْسُ: ضِدُّ التَّخْلِيَةِ"⁽²⁾، قال ابن تيمية رحمه الله: "الحَبْسُ الشَّرْعِيُّ لَيْسَ هُوَ السَّجْنُ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعْوِيقُ الشَّخْصِ وَمَنْعُهُ مِنَ التَّصَرُّفِ بِنَفْسِهِ حَيْثُ شَاءَ، سَوَاءً كَانَ فِي بَيْتٍ، أَوْ فِي مَسْجِدٍ، أَوْ كَانَ يَتَوَكَّلُ نَفْسَ الْغَرِيمِ أَوْ وَكَيْلَهُ عَلَيْهِ، وَمُلَازِمَتُهُ لَهُ"⁽³⁾.

الثعبان والحية:

الثَّعْبَانِ الْحَيَّةُ
الضَّخْمُ الذَّكْرُ،
وَالْحَيَّةُ عَامَّةٌ
تَطْلُقُ عَلَى
جَمِيعِ الْأَفَاعِي

"الْحَيَّةُ الْأَفْعَى تَذَكَّرُ، وَتُؤَنَّثُ، فَيُقَالُ: هُوَ الْحَيَّةُ، وَهِيَ الْحَيَّةُ"⁽⁴⁾، و"الْحَيَّةُ: اسْتِثْقَافُهَا مِنَ الْحَيَاةِ، وَأَصْلُهَا: حَيَوَةٌ، وَسُمِّيَتْ حَيَّةً: لِأَنَّهَا تَتَحَوَّى فِي التَّوَانِئِهَا، وَأَرْضٌ مَحَوَاةٌ وَمَحْيَاةٌ: كَثِيرَةُ الْحَيَّاتِ، وَالْحَيَوَاتُ: ذَكَرُ الْحَيَّاتِ، وَالْحَيَوَاتُ: جَمْعُ الْحَيَّةِ"⁽⁵⁾، والثَّعْبَانِ: الْحَيَّةُ الضَّخْمُ، الطَّوِيلُ، الذَّكْرُ، الْأَصْفَرُ، الْأَشْقَرُ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْحَيَّاتِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: الثَّعْبَانُ مِنَ الْحَيَّاتِ ضَخْمٌ عَظِيمٌ أَحْمَرٌ يَصِيدُ الْفَأَرَ"⁽⁶⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سجن).

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (حبس).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 398 / 35.

(4) الفيومي، للصحاح للنير في غريب الشرح الكبير: (حيي).

(5) ابن عباد، المحيط في اللغة: (حيي).

(6) الأزهري، تهذيب اللغة: (ثعب).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفرقان من الآية 43 إلى سورة الشعراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1446هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفرقان من الآية 43 إلى سورة الشعراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 38، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-80-8

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

مج. 38: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفرقان من الآية 43 إلى سورة الشعراء الآية 95.

1- القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-80-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»